مجلة كلية الآداب

الأخلاق عند أرسطو
وارتباطها بمفهوم السمو النفسى

د. سناء عيد
كلية آداب – جامعة بنها

العدد الحادي عشر يوليو ٢٠٠٤

مقدمة

جرت العادة على أن يكون تقسيم الفلسفة عند اليونان قديما أو بصفة خاصـــة عند كل من أفلاطون وأرسطو بوصفهما مؤسسين لأكبر مدرستين فلسفيتين فى الحقبة الأولى من الفلسفة اليونانية إلى خمسة فروع وهى :-

١- المنطق logikh

٢- السياسة politika

٣- الأخلاق ta hqika

٤- ما بعد الطبيعة ta metafusika

٥- علم الطبيعة ta fusika

وســوف أتــنــاول فــى هذا البحث الفرع الثالث مما سبق وهو الأخـــــــلاق عــند أرسطو ، باعتبارها فرع من فروع الفلســفة التى تهتم بدراسة القيم ومعــايرها ، مثل الخير to agaqon ، والشر to kakon والفضائل ai aretai والرذائل ta kaka

وقــد اختلفت آراء الفلاسفة خلال الحقبة اليونانية فى وضع نظريات مخــتلفة للأخــلاق ، فتاريخ اليونان يقول ان دراسة الأخلاق بدأت مع أفلاطون بشكل مدرسى أكاديمى، ومن ورائه تلميذه أرسطو الذى أطلق علــيه " العقــل " أى عقل الأكاديمية المفكر نظرا لعبقريته ، حيث يمثل موضوع هذا البحث .

يمكنــنا إذن إذا صــح القــول بأن سقراط هو رائد البحث فى فلسفة الأخــلاق خاصــة أن المدارس الفلسفية المتأخرة أو الهلينيستية وعلى رأسها الرواقــية والابــيقورية والكلبية والشكية وغيرها ، كانت تعتبر سقراط الأب

الروحي لها ، وهذه المدارس كانت تحاول التعمق فى آراء المدارس الطبيعية عـند الفلاسـفة الأوائل من أجل البحث عن المفاهيم الأخلاقية التي تنطوي علـيها فلسفتهم ومفهوم السعادة Eudaimonia. والبحث فى الأخلاق له جذور تاريخية ترتبط بالظروف السياسية والتاريخية التى كانت تمر بها بلاد اليونان ، خاصة فى الفترة السابقة على أفلاطون وأرسطو حيث كان النظام السياسي لـبلاد الـيونان هـو دولـة المديـنة Polij ، حيـث يتمـتع الفرد بالحرية والديموقراطية والمساواة .

وكانت كل مدينة أو إقليم يمثل في الواقع دولة مستقلة وكيان مستقل ، يتمـتع باسـتقلالية كبـيرة فـي كافة مجالات الحياة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

ومن هنا يمكننا القول انه كان أمام المفكرين والفلاسفة فى تلك الفترة فرصـة موانية بشكل غير مسبوق من حيث الظرف التاريخي والسياسي في الإبداع والتفكير على نحو ما فعلوا ، وخصوصا أفلاطون وأرسطو .

أمـا في العصر الهلينستى فقد تغيرت الصورة تماما ، ولم يعد الفرد يـنعم بـنظام دولـة المديـنة polij الذي تم إلغاؤه عام ٣٨٣ ق.م ، وبعدها خضـعت المـدن اليونانية لحكم الملك فيليب المقدوني وساد الاستبداد وشعر الفرد بالاستعباد ، وانعكس هذا على المفكرين والفلاسفة الذين قيدت حريتهم الفكرية نتيجة للقيود السياسية التى فرضت عليهم .

وكـان لهـذا أثره البالغ في شيوع عدم الاستقرار السياسي في بلاد الـيونان وتبعه عدم الاستقرار الثقافي ، مما أدى إلى انتكاس القيم الأخلاقية وإضـعاف المبادئ الدينية لدى المواطنين ، ونتيجة لذلك انعدم الشعور لدى

المواطنيــن اليونانييــن بالأمن والطمأنينة والثقة في المستقبل ، ذلك الشعور الــذي كانت تمنحه إياه دولة المدينة بصفته مواطنا صالحا ، حرا ، كريما ، في مؤسسة ديمقراطية لها استقلالها الذاتي وغير تابعة لحاكم مستبد أو لدولة تســتعبدها ، وبــناء على ذلك ظهر عدد كبير من الأشخاص الذين يشعرون بــأنهم معــزولون داخــل مجتمعاتهم كما لم يحدث من قبل ، وأصبح هؤلاء الأشخاص يرون انه لا يمكن أن تستمر مبادئهم القديمة في ظل الحياة القائمة في نطاق الدولة المقدونية ، بعد انتهاء عصر الديموقراطية في المدن القديمة.

وكان الإحساس بالعزلة وعدم الانتماء وعدم الإحساس بالأمان قوى لدرجة انه جعل الناس يبحثون عن أساليب جديدة للحياة قد توفر لهم الطمأنينة التي فقدت ، والاستقرار الذي ضاع ، ومن هنا ظهرت تيارات فلسفية جديدة في العصــر الهلينستى اختلفت في مناهجها لكنها اتفقت على نشر الخير بين أتــباعها ، ولكــن بأساليب مختلفة . وبناء على ذلك اختلفت مناهج المدارس الفلســفية الجديــدة عن المدارس القديمة ، خصوصا الأكاديمية لأفلاطون ، واللوقــيوم لأرســطو الــذي يمثل أساس هذا البحث ، حيث كانت الظروف السياسية والتاريخية تسمح بالتأليف في كل الموضوعات تقريبا .

وهــناك تصــوران للأخــلاق أحدهما تصورا قديما ، والآخر حديثا ، بالنســبة للتصور القديم " وهو ما سوف نتناوله في هذا البحث والمقصود به الأخــلاق عند اليونان ، فهو مطبوع بطابع السعادة ، أي أن أخلاق اليونان " إنمــا هي أخلاق سعادة " أما التصور الحديث ونعنى به الأخلاق بداية من " كانــت " Kant فهو مطبوع بطابع الواجب إذ أن قاعدة السلوك عند " كانت " Kant تقــول " افعــل هــذا لأنه واجبك " ، بينما الأخلاق اليونــانية تقول "

افعـــل هـــذا لأنه يؤدى إلى سعادتك " فالبحث عن السعادة عند اليونان هو المطلب الأسمى للإنسان وخيره الأعلى وغايته القصوى .

ويعـــد أرسطو من أكبر الممثلين للأخـــلاق اليونانية من تلك الناحية ، فالفضـــيلةh areth واللذة hdonh والسعادة Eudaimoniaوالخير agaqon تعتبر ألفاظا مترادفـــة لها دلالة واحـــدة عنده – وهذا ما سوف نعرضه في البحث – إذ أنهـــا تطلـــب لذاتها وليست وســـيلة لشيء آخر يعلو عليها ، وهو ما تناوله أرسطو في كتابه " الأخلاق النيقوماخية "Nikomacika Eqhka [1]

ومـــن هنا ظهرت تيارات فلسفية جديدة في العصر الهلينستى اختلفت في مـــناهجها لكـــنها اتفقت على نشر الخير بين اتباعها ولكن بأساليب مختلفة . لذلـــك اختلفـــت مـــناهج المدارس الفلسفية الجديدة عن المدارس الكلاسيكية خصوصـــاً الأكـــاديمية لأفلاطون واللوقيوم لأرسطو والذي يمثل أساس هذا البحـــث ، حيـــث كانت الظروف السياسية والتاريخية تسمح بالتأليف في كل الموضوعات تقريباً .

واشـــتملت نظرية الأخلاق عند أرسطو على أكثر من جانب لتخدم مبدأ أساسي وهو الإحساس بالسعادة Eudaimonia والطمأنينة Ataraxia الـــتى ينشـــدها الجميع ، وقد اشتملت نظرية الأخلاق عند أرسطو على البحـــث عـــن معـــرفة غاية الحياة ، وكذلك توضيح مدى ارتباط نظرية الأخـــلاق بنظرية السياسة باعتبار أن علم السياسة Politikh سيد العلوم الأخـــرى kuriwtath , arcitekonikh ، وكـــيف أن الشباب لا يصلحون

---

[1] – Snell – Bruno : The Discovery of the mind in Greek Philosophy, and Literature, Dover Publications, New York, P.158.

لدراســة هذا العلم " علم السياسة " ، ومن ثم توضيح مفهوم السعادة عند أرســطو ومقارنــة هــذا المفهوم عند بعض الفلاسفة ، على أن بعض المــدارس الفلســفية المتأخرة اقتبست بعض من المذاهب السابقة عليها وطورتهــا لــتخدم أغراضاً أخلاقية " التصوير وليس الإبداع " ، كذلك نتناول في هذا البحث معنى الفضيلة عند أرسطو h areth وأنواعهــا وكــيف ربــط أرسطو بين السعادة والفضيلة واعتبر أن فضيلة السمو النفســي Megaloyucia هــي تاج الفضائل ، ونختتم هذا البحث بنظرية أرسطو فى العبودية من خلال المفهوم المحلى للعبودية والفكرة العالمية لهذا المفهوم .

أرسطو

(أ) حياته

- أرســطو هو أعظم تلاميذ أفلاطون ومنافسه الأوحد في التربع على عرش الفلسفة وهو أشهر مفكر في تاريخ الإنسانية ، كما أنه مؤسس علــم النقد الأدبي وصاحب أكبر تأثير من بين أرباب التنظير للأدب عبر مختلف عصور التاريخ الإنساني والعالمي.[1]
- ولــد أرسطو سنة ٣٨٥ ق.م في أستاجيرا ، وكانت مدينة أيونية قديمة على بحر إيجه في الشمال الشرقي من شبه جزيرة خلقيدية في تراقــيا علــى حــدود مقدونية وفى عهده استولى عليها المقدونيون

1- عــتمان – أحمــد : الأدب الإغريقــي تراثاً إنسانيا وعالميا ، الطبعة الثانية ، جامعة القاهرة ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ص ٣٩٩ .

وخربوها وسميت فيما بعد أسطافرو ، وكانت أسرته معروفة بالطب، وكـــان أبـــوه نـــيقوماخوس طبيباً للملك المقدونى أمنتاس الثاني أبى فيليـــبوس أبـــى الإسكندر قد توفى وما يزال أرسطو حدثاً فلم يأخذ عنه[1] . ولما بلغ الثامنة عشر قدم إلى أثينا ليستكمل علمه ، فدخل الأكاديمـــية ، وما لبث أن أمتاز بين أقرانه فسماه أفلاطون " العقل " لذكائـــه الخـــارق ، و" القـــراء " لاطلاعه الواسع ، ثم أقامه معلماً للخطابـــة فيما يقال . ولزم أرسطو الأكاديمية عشرين سنة أي إلى وفـــاة صـــاحبها ، وحسبنا هذا دليلاً على بطلان ما جاءت به بعض الأقاويل من مجافاته أستاذه في العهد الأخير ، أو على مغالاتها فيما قد يكون وقع بينهما من المنافسة العلمية .

ويذكـــر كذلـــك انه أنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها في العصر القديم ومعملاً للتاريخ الطبيعي . ويشهد ما وصل إلينا من كتبه وكتب تلاميذه على أن العمـــل كان كثيراً والبحث شاملاً جميع فروع العلم . " وتتراوح الأعمال المنسوبة إليه من ٤٠٠ إلى ١٠٠٠ مؤلف ، وبالطبع فان هذه الأرقام تشمل أعمـــالاً تنســـب إليه خطأ ، إذ لم تصلنا من مؤلفاته سوى ٤٧ كتاباً . ومن الملاحـــظ أنهـــا مؤلفات لم تكن مجرد تسجيل لمحاضرات هذا المعلم . وقد تكـــون مذكـــرات Memoranda دونت للطلبة الذين فاتتهم فرصة متابعة هذه

1- د. النشار – مصطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء للنشر – القاهرة الجزء الثاني سنة ٢٠٠٠ ص ١٤١ .

المحاضرات . أي أنها مدونات كان المقصود منها أن تحفـظ بدقة ما لم يكن بالإمكان لأية ذاكرة بشرية أو حتى لمذكرات طلابية أن تسعه " .

– وبعد أثنتى عشرة سنة أضطر أرسطو أن يترك أثينا مرة ثانية ، وعندما مـات الاسـكندر بالحمى سنة ٣٢٣ ق.م عاد إلى ديموستين وحزبه آمالهم وعـادوا إلـى نشـاطهم وأخذوا يطاردون الأجانب ، واتجهت الأنظار إلى أرسـطو مع أنه لم يشتغل بالسياسة قط رغم أن العلاقات كانت متوترة بينه وبين الاسكندر من سنتين مضت .

– لم يبال الأثينيون بذلك ولجأوا إلى حيلة طالما اصطنعوها من قبل فاتهموه بالإلحاد فعهد بالمدرسة إلى ثيوفراسطس وغادر المدينة وهو يقول متهكماً : " لا حاجة لأن أهيىء للأثينين فرصة جديدة للتجنى ضد الفلسفة " وقصد إلى مدينة خلقيس فى جزيرة أوبا ، ومات هناك مريضا فى السنة التالية وهو فى الثالثة والستين عن زوجته الثانية (وكانت الأولى قد توفيت) وابنه من هذه وابن من تلك اسمه نيقوماخوس .

وعندما توفى أفلاطون غادر أرسطو أثينا . وتعددت الأقاويل في أن يكون سبب ارتحاله غضبه من قيادة غيره على المدرسة ، والإنصاف يقضى أن نذكـر أن موقفـه فى المدينة كان أمرا محزنا له ، وقد تألف فيها حزب وطني بزعامة ديموستين لمقاومة فيليبوس ، وكانت العلاقة بين أسرة أرسطو والـبلاط المقدونـي معلومة للجميع ، لذلك ترك أثينا وقصد آسيا الصغرى وقضـى فيها مدة وتزوج ، ثم دعاه فيليبوس ليعهد إليه بتثقيف ابنه الاسكندر البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة . ولا نعلم كيف كان منهجه مع تلميذه ولكنا نعلم أن فيليبوس أمر بإعادة بناء استاجيرا من ماله الخاص ، فدل بذلك على

عظـيمة مكانـة الفيلسوف عنده . واستمر أرسطو على العناية بولى العهد أربـع سنوات متصلة حتى إذا ما بلغ الإسكندر السابعة عشرة شارك الجيش فـي حـروبه وذاق لذة النصر فتباعدت الصلة بينهما . ولما ناهز العشرين نـودي بـه ملكـاً بعـد أبيه الذي اغتيل ، فعمل على توطيد حكمه وتوسيع سـلطانه. وعـاد أرسطو إلى أثينا في أواخر سنة ٣٣٥ ق.م ، وكانت قد خضعت لقوة فيليبوس .

وعـندما استقر بها انشأ مدرسة فى ملعب رياضي يدعى الليكيون " باسـم معـبد الإلـه أبـو للون ليكيوس Lykeios، وكانت مدرسة الليكيون الأرسطية على الأرجح تقع فيما بين صخرة ليكابيتوس واليسوس Ilissosففي هـذا المكان استأجر أرسطو بعض المباني و أقام مدرسته التي كانت تضم فـناء مغطى استخدمه الأستاذ وتلاميذه كممشى Peripatos يتجولون فيه أثناء الدراسة ، ومن ثم عرف اتباع أرسطو بالمشائين Peripatetikoi ، حيث قسم رجال المدرسة طائفتين : أعضاء مسنين ينتخبون الرئيس وبعض الأعضاء الشـباب ، ويقال إن دروسه كانت نوعين : صباحية مخصصة للتلاميذ عن الفلسفة ومسائية عامة تدور على الخطابة .

(ب) مصنفاته

* لكتـب أرسـطو قصـة ذكرها أسترابون فى جغرافيته وأفلوطرخس في تـرجمةً سيلا ملخصها أن ثيوفراسطوس لما حضرته الوفاة أوصى بمكتبته لزمـيل له ،وكانت فيها مخطوطات أرسطو مع مخطوطاته ، فلما توفى هذا الزميل وأدرك ورثته قدر الكتب فعملوا جاهدين على ألا تقع في أيد غريبة ، وكان بعض الأمراء وقتذاك يطلبون الكتب فى جميع تخصصاتها ، فخبئوها

فـــي قبو بقيت فيه مائة سنة أو أكثر إلى أن اكتشفت مكدسة من غير ترتيب وقـــد نال منها التعفن فاشتراها رجل خبير بالكتب واستنسخها ، كما وجدت دون عـــناية بإصـــلاح مـــا فسد منها . ثم وقعت مكتبة هذا الرجل فى أيدي الرومان فنقلوها إلى روما وكلفوا بمراجعتها عالماً كان عند شيشرون أميناً للمكتـــبة ، فلـــم يجئ عمله دقيقا بالمعنى المطلوب ، فعرض الأمر بعد ذلك بقلـــيل اندرونيقوس الرودسى الزعيم الحادي عشر على الليكيون بعد أرسطو وأخرج للناس نسخاً صحيحة أضاف إليها فهارس وكتاباً بين فيه المنهج الذي أتـــبعه ..... هذه القصة غير صحيحة من غير شك إذ كيف يعقل أن مكتبة الليكيون لم تكن تحتوى على نسخ من مصنفات أرسطو يرجع إليها المعلمون والتلاميذ .[1]

أمـــا مصنفات الشباب فقد ضاعت جميعا وكل ما نعلمه عنها مستمد مـــن فهـــارس قديمة وإشارات ومقتبسات وردت لدى قدماء الكتاب . وهى محاورات على طريقة أفلاطون فى عهده الأخير ، بل أن الحوار فيها قصيرا جـــدا ، ومنها السياسي ، السوفسطائى ، منكسينـــوس، المأدبة ، في البيان ، إســـكندر ، فـــي العدالـــة ، فـــي الشعر، في الصحة ، في التربية في اللذة ، واوديمـــوس فـــي خلود النفس ، وكتابا في الفلسفة أو في الخير" وضعه في الوقت الذي كان يتحرر فيه من تأثير أفلاطون عليه .

بدأ ذلك الكتاب بفكره عن تاريخ الفكر وتقدم الإنسانية ، وتطرق إلى نقد نظرية المثل وحدوث العالم ، وانتهى بالبرهنة على ألوهية الكواكب .

---

[1]- مصطفى النشار ، المرجع السابق ص ١٤٣

وأمـــا مصـــنفات الكهولة فقد بقى معظمها وليس للحوار أثر فيها وإنما هي موضوعة في قالب تعليمي . لم تكن معدة للنشر ولكنها مذاكرات أجزاء منها فقط محررة تحريراً نهائياً والباقي منها ما دونه لنفسه ومنها ما دونه تلاميذه عـــنه وراجعـــه هو ، وهذا يفسر صعوبة أسلوبها وافتقارها للشرح منذ القدم وهـــى لـــم تتداول إلا في المدرسة إلى أن نشرها أندرونيقوس كما سبق أن ذكـــرنا . وكـــان يعمل كل فترة على تنقيحها وزيادتها وتحويل بعضها إلى الـــبعض ، لذلك يصعب على وجه الدقة تأريخها من كتاب إلى آخر . ولسنا بحاجة إلى تأريخها فان لكل منها موضوعاً خـــاصاً لا يخرج عنه والأفكار فـــيه مرتـــبه ترتيـــباً منطقياً والمذهب فيها واحد ومتناسق ، وهى تنقسم إلى خمسة أقسام :-

الكتب المنطقية :

وقـــد لقبت فيما بعد بالاورغانون أى الآلة (الفكرية) : المقولات ، العبارات ، التحليلات الأولى أو القياس ، التحليلات الثانية أو البرهان ، الجدل ، الأغاليط .

الكتب الطبيعية :

ومـــنها كتب شاملة يتعلم منها الأمور التي تعم جميـــع الطبائع ، وكتب تخصصـــية يـــتعلم مـــنها الأمور التي تخص كل واحد من الطبائع وهى :- الســـماع الطبيعـــي وهـــو كتاب شامل في الطبيعة ، الكون والفساد ، الآثار العلويـــة والاورغانون الذي يضم كافة أعمال أرسطو في مجال المنطق أو الكتـــب التي يطلق عليها كل أعمال أرسطو المنطقية مجتمعة ويشك البعض فـــي إمكـــان نســـبتها إليه ويقبلها البعض ،ثم كتـــــاب النفس (الطبيعيات

الصغرى) ، ثم خمسة كتب في التاريخ الطبيعي هي تاريخ الحيوان وأعضاء الحيوان وتكوين الحيوان ومشى الحيوان وحركة الحيوان.

الكتب الميتافيزيقية :

أى مـــا بعد الطبيعة : يبدو أن أندرونيقوس هو الذي جمعها على الترتيب المعـــروف مـــنذ أيامـــه وسمها بهذا الاسم لأنها تأتى بعد الطبيعات ، وكان أرســـطو قـــد سمى موضوعها بالعلم الإلهي وبالفلسفة الأولى . وهى تؤلف مجموعة واحدة .

الكتب الأخلاقية والسياسية :

الأخـــلاق الأوديمـــية Eudemika Eqhka (فى سبع مقالات) والأخلاق النيقوماخية Nikomacika Eqhka(في عشر مقالات) والأخلاق الكبرى (في مقالتين) ، والكتابان الأول والثاني روايتان لدروس أرسطو الشفوية ، ولكن الأول أقـــدم لأنـــه أقرب إلى أفلاطون ، والثاني أقرب إلى مذهب أرسطو وأكمـــل لأن المقـــالات الرابعة والخامسة والسادسة من الأول (افلاطون) ضـــاعت فوضـــعت مكانها المقالات المقابلة لها فى الثانى . أما الثالث فهو تلخيص الكتابين بالرغم من ضخامة أسمه . وهناك عدة أقاويل خاصة بكتاب الأخـــلاق إلى نيقوماخوس أو إلى أوديموس لأن الأخصائيين تراجعوا عن هـــذه الترجمة وقالوا إن العنوان اليوناني مبهم يحتمل ثلاثة معاني : الواحد " الأخـــلاق إلى ....." يعنى أن الكتاب مهدى إلى ..... والآخر " أخـــلاق نـــيقوماخوس " يعـــنى اسم الناشر والثالث " الأخلاق النيقوماخية " ويذهـــبون إلى أن المعنى الأول غير مقبول بحجة أن الكتاب من أقدم كتب أرسطو فيما يشير إلى أن نيقوماخوس كان صبياً عند وفاة أبيه ، ولسنا نرى

مـــا الـــذي يمنع أن يكون أرسطو أضاف اسم ابنه للكتاب . كذلك يرفضون المعـــنى الثاني على أساس أنه ليس عليه دليل وبذلك فالكثير منهم يميل إلى المعنى الثالث " الأخلاق النيقوماخية " ، وهو ما نستخدمه في هذا البحث ، أما الكتـــب السياسية فهي كتاب السياسة ، وكتاب النظم السياسية وهى مجموعة دساتير تخص ١٥٨ مدينة يونانية تقريبا لم يصل إلينا منها سوى دستور أثينا وقد وجد في مصر على ورق بردى سنة ١٨٩٠ م .

الكتب الفنية

وهى الخطابة والشعر ونذكر له كتب أخرى أثبت النقد أنها منحولة ، منها كتاب العالم كان قد ضم إلى كتاب السماء ولقب بالسماء والعالم ، ولكن فيه آراء رواقـــية تخرجه من المجموعة الأرسطو طاليسية ومنها كتاب المسائل الـــذى يتـــناول مسائل من مختلف العلوم وكتاب " في مليسوس واكسانوفان وجورجـــياس " وهـــو بقلم أرسطو عن أهل القرن الأول الميلادي ، وكتاب الخطوط وكتاب فيضان النيل واللاهوت المعروف عند الإسلاميين " بإثولوجيا أرسطو " .

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن مؤلفات أرسطو تعتبر موسوعة كـــبرى انـــتظم فيها العلم القديم بأكمله ما عدا الرياضيات ، أما كتبه الفلسفية وكثيراً من نظرياته خالدة ليس فقط من حيث أهميتها التاريخية أو الفلسفية ، بل أيضا على الأخص من حيث قيمتها الذاتية .

(جـ) أسلوبه

كان التبجيل الذي تمتع به أرسطو بعد وفاته اعظم بل وأكثر خلوداً من أي تبجيل يتمتع به أحد غيره من المفكـــرين قاطبة . كان تبجيلاً عظيماً جداً

حـــتى انـــه ، بعد مضى قرون ، كان المفكرون غالبا يلجئون إلى حكمته ، وكثـــيراً ما كان يسلم بأنه حكم قاطع تماماً في المحاورات الفلسفية وكذلك مع ابســـط تعلـــيل فيما له صلة بمسائل العلوم الطبيعية ، ولو أن هذا الأمر كان بعيداً عن التوفيق في مجالات عديدة . وأخيراً عندما ظهرت مبادئ جديدة في ميادي ـــن عديـــدة مـــن البحث الإنساني حوالي القرن السادس عشر وما بعده صارت سمة المفكر التقدمي التنكر والإساءة إلى الرجل الذي كانت البلاد قد التزمـــت بحكمته التزاما شديداً لقرون سابقة . وفى كافة الأزمنة أيضا ، كان المعجـــبون بـــه يميلون إلى معالجة مؤلفاته على إنها تشكل منهجاً صارماً وقاطعاً ، ونلاحظ أيضا أن ويرنرجايجر Werner Jaeger قد صوره بصورة خاصـــة علـــى أســـاس انه يبتعد عن بداياته الأفلاطونية تدريجياً متجهاً نحو أسلوب فكرى مختلف[1] .

كذلـــك كان القدماء معجبين بكتابة أرسطو ، وقد قال شيشرون " أن أسلوبه يتدفق كنهر من تبر " كذلك كان أرسطو يجعل للحوار نصيباً ضئيلاً وللشـــرح النصيب الأوفر . على أن الكتب العلمية تحمل البينات على صدق إعجـــاب القدماء ، إذ أن مؤلفاته فى الجدل والشعر والخطابة تدل على تمكنه مـــن الـــثقافة اليونانية بجميع فنونها ، وعلى رسوخ قدمه في الفلسفة والأدب وسمو ذوقه . كما إنه قد اعتنى عناية عظيمة بتحديد معاني الألفاظ ، ووضع ألفاظـــا جديـــدة فـــي العلوم وفى الفلسفة ذاعت في لغته ونقلت إلى اللغات

1- وورنـــر . ريكس : فلاسفة الإغريق ، ترجمة د. عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ١٣٥ .

الأوربـــية وإلى اللغة العربية بحيث يصح أن يقال أنه الواضع الحقيقي للغة العلمية العامة[1]

فلسفته

* وصـــلت الفلســـفة اليونانـــية إلى اعظم درجة استطاعت أن تبلغها عند أفلاطون وأرسطو . فمذهب كل منهما هو قيمة للشعور بالذات ، وفيهما نجد الطابع الأساسي للروح اليونانية وقد تجلى بأعظم مظاهره . وعلى الرغم من أنهمـــا عـــبقريان فذان يصدران عن روح واحدة ويعبران عن أعلى صورة يمكن لتفكير ناضج مستقل شاعر بذاته أن يصل إليها ، إلا أن ذلك لا يمنع – وهـــذه طبـــيعة كـــل تفكير مستقل ناضج – أن تظل بينهما فروق أساسية لا يســـتهان بها. فبينما كان أفلاطون يحلق في عالم سامي من الرؤى والأحلام ويـــتخذ مـــن المـــثل أساساً للوجود الحق ، إذا بأرسطو يتشبث بدنيا الواقع والحس فينكر عالم المثل وينظر إلى الطبيعة نظرة علمية فاحصة يسير فيها بمنطق تدريجي متسلسل لا قفزة فيه ولا طفرة .

فالفضـــل يعود إلى أرسطو في تنظيم الفلسفة اليونانية وتقسيمها إلى فـــروع وإيجـــاد المنطق مرتباً منظماً له أسسه وقوانينه ، حتى لقب من أجل

---

[1]– د. النشـــار . مصـــطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، الجزء الثاني. ص ١٤٨ . مرجع سابق .

ذلك كله بالمعلم الأول ، وعلى ذلك سميت فلسفة أفلاطون بالفلسفة المثالية ، بينما كانت فلسفة أرسطو واقعية تماماً[1] .

نظرية الأخلاق عند أرسطو

ألف أرسطو في مجال الأخلاق ثلاث مؤلفات على قدر كبير من الأهمية وهى الأخلاق الكبرى

- والأخلاق النيقوماخية Nikomacika Eqhka
- والأخلاق الأوديمية Eudemika Eqhka

حيث يحتوى كتاب الأخلاق النيقوماخية على عشر مقالات الأولى في غاية الحياة وهو بحث تمهيدي جدلي أي قائم على استقصاء الآراء وتمحيصها ووضع أسس منهجية لهذا العلم ، المقالة الثانية في الفضيلة والثالثة قسمان القسم الأول في الإرادة والاختيار وهما الأصل في الفضيلة والقسم الثاني بداية تفصيل القول في الفضائل والرذائل ويطرح موضوع الصداقة ويستمر هذا التفصيل إلى نهاية المقالة التاسعة .

أما العاشرة والأخيرة مبحث ثاني في غاية وهو يختلف عن ما يراه العامة وإنما كما يراه الفيلسوف أرسطو [2] .

1- د. مرحبا . عبد الرحمن : تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلينستية ، الطبعة الأولى . بيروت مؤسسة عز الدين ، ١٩٩٣ ص ٢٦٣ .

2- د. النشار – مصطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي . الجزء الثاني مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

غاية الحياة " الخير الأعظم "

Pasa tecnh kai pasa meqodoj , o poiwj de praxij te kai proairwsij , agaqou tinoj efiesqai [1]

" كـل فن وكل بحث علمي وكل فعل وكل اختيار يبدو أنها جميعاً تهدف إلى خير ما . "

* بهـذه العبارة يستهل أرسطو كتابه الأخلاق النيقوماخية وهذه الفقرة التي تـدل على مدى اهتمامه بموضوع الخير لأنه الفكرة الأساسية فى موضوع الأخـلاق ، وطالما كان علم الأخلاق من بين العلوم العملية بحسب تصنيف أرسطو للعلوم فانه يتجه بالضرورة إلى تحقيق غاية .

وهـذا مـا جعل أرسطو يؤمن بأن الخير الإنساني غاية لكل أفعالنا أي أنه الغاية القصوى ، رغم أن هناك اختلاف بين الغايات التى يتمناها الإنسان فى أفعالـه بحسب الأفعال ، وأحياناً تكون هناك غايات هى ببساطة نفسها التى يأتـيها الإنسان ، وأحياناً تكون الغايات نتائج تلك الأفعال فضلاً عن الأفعال ذاتها.

Pollwn de praxewn oudwn kai tecnwn kai episthmwn polla ginetai kai ta telh [2].

إذ انه " بتعدد الأفعال والفنون والعلوم تتعدد الغايات " .

على ايه حال فبتعدد الأفعال تتعدد الغايات لأن الغايات إن تعددت فهي مرتبه فيما بينها ، يخضع بعضها البعض، وتؤدى في النهاية إلى الغايات ولابد من

1- Aristotle : Nicomadea Ethica, Translated by H. Rcham, Joeb classical jiberary Harvard University Press Cambridge,1094,1-1 (Joeb).

2 - Aristotle, Ibid ,P. 1-7,Locb

الوقـوف عـند حد تسلسلها أي الانتهاء إلى غاية قصوى لها قيمتها بذاتها وتـتوجه إلـيهـا الأفعـال جميعاً ، هذه الغاية هي مـن غير شك الخير الأعظـم ، وإن معرفتها تؤدى بنا إلى معرفة الخير الحقيقي الذي يتوقف عليه توجيه الحياة .

iatrikhj men gar ugieia , nauphgikhj de ploion, strathgikhj de nikh , oikonomikhj de ploutoj [1]

إذ انـه مـن المعروف أن : " الصحة هي غاية علم الطب والسفينة هي غايـة العمـارة الـبحرية والنصر هو غاية العمل العسكري " فن الحرب " والثروة هي غاية علم الاقتصاد " .

وبمـا أن الصحة هي غاية علم الطب والسفينة هي غاية العمارة البحرية والنصر هو غاية العمل العسكري والثروة هي غاية علم الاقتصاد إذن بتعدد العلوم المختلفة تتعدد الغايات ، على أن تندرج هذه العلوم لتصل لعلم له رفعة خاصة ومكانة أسمى بين سائر العلوم جميعاً وهو علم السياسة politikh حيث يشـتمل هـذا العلم على غايات كل العلوم الأخرى ، لأن هذا العلم يحدد ما يجب أن نفعل وما يجب أن لا نفعل ، وانه هو الذي يحدد لنا مقدار ما يجب أن نـترك ؟ وانـه هو الذي يحدد لنا مقدار ما يجب أن نتعلمه أي انه يبين حدود المعرفة لأن المعرفة ترتبط بالدولة .

ومـن ثم فان الغاية القصوى التي هي الخير الأسمى إنما تكمن في غاية علم السياسة ، وعلى هذا النحو نجد أن أرسطو قد ربط بين الخير والسياسة بشـكل واضح " . حيث ضرب أرسطو مثالاً على صحة نظريته تناول فيه

---

1 - Aristotte, Ibid,P. I -9.

علـم الفروسية وقال أن هذا العلم يتبع " فن السروجية " وجميع الفنون التي تـتعلق باسـتخدام الحصـان ، فهذه الفنون جميعاً فضلاً عن جميع الأعمال الحربية الأخرى تخضع لعلم عام وهو فن الحرب ، الذي يخضع بدوره إلى علم أسمى وهو علم السياسة ، هذه الأعمال والعلوم تجعل النتائج التى ينشدها العلم الأساسي (الأعلى) أرقى من نتائج الفنون التوابع لان نتائج هذه الفنون الـتوابع لا تطلـب إلا من اجل نتائج الفنون الأسمى ، ولذلك يصف أرسطو علم السياسة politikh بأنـه سـيد العلـوم arcitektonikhوالعلم المسيطر والمهيمن على سائر العلوم الأخرى.

ولهذا نجد أن أرسطو اخضع علم الأخلاق لعلم السياسة ، على عكس ما ذهب إليه بعض المحدثين وخاصة الألمان منهم[1] ، من أن للدولة أخلاقاً غير أخلاق الفرد ، ولكن أرسطو يصرح بأن غاية الفرد وغاية الدولة شئ واحد وينـبذ قول السوفسطائيين أن الأخلاق وضعية متغيرة كما نبذه أفلاطون فيما قبل .

ويرى أرسطو انه لا يهم أن تكون الأفعال ذاتها هي الغاية القصوى من الفعـل نفسه أو أن يكون وراء هذه الأفعال نتائج أخرى مقصودة ، فإذا كانت جميع أفعالنا لها غايات نريد أن نحققها لذاتها وأننا نصل إلى هذه الغايات من أجـل غايـة أسمى في أفعالنا ، ولذلك من الواضح أن غاية أفعالنا هو الخير agaqon بل الخير الأسمى to agaqonauto

وعلـى ذلـك فان الخير هو موضوع دراسة أكثر الفنون والعلوم شمولاً وهـو فن السياسة أو علم السياسة politikh المسـيطر على باقي العلوم "سيد

1- د. النشار ، مصطفى : مرجع سابق ص ٢٤٠ .

العلـــوم " arxitektonikh وذلك لأن علم السياسة كما يرى أرسطو هو الذي يحـــدد أنواع العلوم والتي يجب أن تدرس في الدولة ، وأيضا هو العلم الذي يحـــدد مقدار ما يمكن أن . يحصل عليه المواطنين داخل الدولة ، والواقع أن أســـمى المهـــارات وأكـــثرها تأثيراً في المجتمع إنما تتدرج تحت دائرة من الســـياســـة مثل الفن العسكري strathgikh وفن الاقتصاد oikonomikh وفن الخطابة rhtorikh ويقول أرسطو فى كتاب الأخلاق النيقوماخية :

Orwmen de kai taj entimotataj twn dunamewn upo tauthn(sc. Politikhn) ausaj oion strathgikhn ,oikonomikhn , kai rhtorikhn[1]

" ونلاحظ أن أشرف القدرات (العلوم) التي تتدرج تحت هذا العلم(السياسة) مثل العلم العسكري وعلم الاقتصاد والخطابة " .

ويعكـــس هـــذا القول أن غاية علم السياسة يجب أن تشتمل على غايات العلـــوم الأخرى جميعاً بحيث تكون هذه الغاية هي خير الإنسان ، والحديث عـــن علم السياسة على هذا النحو يجعلنا نفهم أن خير الدولة مقدم على خير الفـــرد ولكنه فى الواقع التدرج على طريقة أرسطو من الجزء إلى الكل ، أي أن خـــير الفرد ليس شيئا تافهاً ، وعلى ذلك يعتبر خير الدولة هو الخير الأســـمى ، ولكننا يجب أن نفهم أن الغاية واحدة عند الفرد وعند الدولة وهى الخير .

والجديـــر بالذكـــر أن أرسطو يرى أن الشباب لا يصلحون لدراسة علم السياسة politikh لأنهم لم تتجمع لديهم تجارب عديدة عما يحدث فى الحياة من أفعال، وكذلك لأن الشباب يميل في الغالب إلى اتباع عواطفه وانفعالاته

---

1 - Aristotte, op.cit, 1094,I.P.32.

بحيـــث تصـــبح هذه الدراسة عبثاً وغير مجدية لان غايتها فى الأصل ليست مجرد المعرفة بل العمل فغاية هذا العلم غاية عملية وليست نظرية .

Dio thj politikhj ouk estin oikeioj akroathj o neoj . apeiroj gar twn kata ton bion praxewn , oi logoi d' ek toutwn kai peri toutwn . eti de toij paqesin akolouqhtikoj wn mataiwj akousetai kai anwfelwj , epeidh to teloj estin ou gnwsij alla praxij . diaferei d' ouden neoj thn h alla dia to kata paqpj zhn kai diwkein ekasta [1]

" ومـــن أجل ذلك فان الشباب لا يليق به أن يتعلم علم السياسة لأنه ليس لديـــه الخبرة بأمور الحياة تلك التى منها وحولها يدور حديثنا ، وعلاوة على ذلـــك فان الشباب يندفعوا فى أفعالهم وراء عواطفهم ومن ثم لن تفى دراسة السياسة بالنسبة له بالغرض وسوف تكون بلا طائل طالما أن غاية هذا العلم (السياســـة) ليست المعرفة بل السلوك ، وليس ثمة فرق بين أن يكون هذا الشـــباب صـــغير فى السن أو قليل النضج ، فليست المشكلة تكمن في السن ولكـــن تكمـــن فـــى أن حـــياتهم (الشباب) وأهدافهم المختلفة تكون مرهونة بمشـــاعرهم ومن ثم فمعرفة هؤلاء الشباب بهذا العلم لا فائدة منها طالما أن هؤلاء لا يملكون زمام السيطرة على أنفسهم ، بينما الأخلاق (علم الأخلاق) تكون لها قيمة عظيمة بالنسبة لهم لتهذيب رغباتهم وأفعالهم في المقام الأول "

نقد أرسطو للمثل الأفلاطونية

إن منهج البحث في علم الأخلاق يجب أن يتناسب مع موضوع هذا العلم ونحن إذا صرفنا النظر عن الأسس الطبيعية للأخلاق وجدنا الأخلاق مختلفة ومتغيرة جدا بحيث يمكن أن تبدو صادرة عن العرف لا عن الطبيعة ، لذلك

---

[1] - Aristotte, op.cit, 1095,III-P.2.

كان أرسطو لا يقصد بالأخلاق العلم النظري الذي يمكن أن يودع في الكتب ويدرس دون أن يتحقق بالفعل ، بل يقصد بها العلم العملي الحاصل في العقل على سلامة التبصر بظروف ومطاوعة الإرادة ، والمنهج في الأخلاق لا يقوم علـــى الاســـتدلال الـــبرهانى بل يستند إلي التجربة الواقعية وفى ذلك يعتبر أرســـطو أن أفلاطـــون كـــان قد اخطأ عندما رد الأخلاق إلى العقل وربط السلوك الأخلاقي بالمثال الأعلى .

وعلـــى هذا نجد أن أرسطو انتقد نظرية المثل الأفلاطونية انتقادا شديدا رغـــم احترامه الشديد لأستاذه أفلاطون حيث يقول كلمته المشهورة [1]" أحب أفلاطون وأحب الحق وأوثر الحق على أفلاطون " ، وبذلك فهو عرف كيف يوفق بين إيثار الحق وبين احترامه لأستاذه وعرفانه بجميله .

كمـــا نجـــد أن أفلاطون ميز بين عالم محسوس يشتمل على موجودات يســـميها أشباح وعالم حقيقي هو عالم المثل (عالم يضم المثل التي يعتبرها الموجـــودات الحقيقـــية) ومـــن الجدير بالذكـــر أن أهم أسطورة فى نظرية المثـــل eidh

عـــند أفلاطون هى أسطورة الكهف ، ولذلك فإن رفض أرسطو لنظرية المـــثل الأفلاطونـــية إنما يعكس مزيدا من الواقعية التي امتاز بها أرسطو ، والتـــي أراد منذ اللحظة الأولى أن يبرزها بل لا نبالغ إذا قلنا انه قال بنظرية المادة والصورة والقوة والفعل رداً على نظرية المثل الأفلاطونية .

ويـــرى أرسطو انه طبقا لنظرية المثل عند أفلاطون نفهم أن هذه المثل كانـــت علـــلا للأشياء طالما أنها بحسب وصف أفلاطون خالدة afqarton لا

---

[1]– د. النشار . مصطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي : مرجع سابق ص ١٤٢.

تتغير ولا تفنى ، ومن ثم تعتبر بمثابة الجواهر بالنسبة للأشياء التي لا تطرأ علـــيها أى تغير ، فقد رفض أرسطو نظرية المثل فى أكثر من موضع من مؤلفاته ويمكننا أن نفهم طبيعة هذا العقد الذي يرى فيه انه لا قيمة ولا طائل من وراء التميز بين شيىء ومثاله إذا اقتبسنا أحد نصوص أرسطو في كتاب الأخلاق النيقوماخية " [1]

Aporon de kai ti wfelhqhsetai ufanthj h tektwn proj thn autou tecnhn eidwj to auto (agaqon) , h pwj iatpikteroj h strathgikwteroj estai o thn idean authn teqeamenoj . fainetai men gar oude thn ugieian outwj episkopein o iatroj , alla thn anqrwpou , mallwn d' iswj yhn toude kaq' wkaston gar iatreuei .

وعلـــى ذلك يكون " من غير الممكن أن تنفع معرفة مثال الخير(الخير فـــى حـــد ذاته) حائكاً أو نجاراً في حرفته ، إذ كيف يمكن أن يكون أكثر مهارة فى فن الطب مثلا أو فى فن القيادة العسكرية طبيبا أو قائداً يسعى إلى المثال فى ذاته لأنه من الواضح أن الطبيب لا يفحص الصحة على هذا النحو (أى لا يفحص مثال الصحة) بل يفحص صحة إنسان ما من حيث انه يعالج كل إنسان بحسب نوع المرض الذى يعانيه " .

ومـــما سبق ذكره نستنتج أنه لا طائل من معرفة المثال بحسب رأى أرسطو فلن تكون منضدة صنعها نجار يعرف مثال الخير (الخير فى ذاته) أتقن صنعا من أخرى صنعها نجار لا يعرف سوى صناعتها فقط (أي الخير دون المـــثال) ، وعلى هذا النحو أيضا ينكر أرسطو أن يكون الطبيب أكثر مهـــارة فى فنه أو صنعته إذا مثال الصحة ، فالطبيب لا يتعامل مع الصحة

---

[1] - Aristotle, op.cit, 1094,VI-P.9.

ذاتهـــا أو مثال الصحة بل يفحص صحة إنسان ما مريضا بمرض معين مع اختلاف أنواع الأمراض .

السعادة عند أرسطو :

" السعادة غاية كل فعل إنساني " كما سبق أن أوضحنا أن غاية الحياة هـــي الخير الأعظم فلابد أن نتعرف إذن على ما هو خير الإنسان ، فنجد أن خـــير الإنســـان لابد أن يتوافر فيه شرطين الأول أن يكون غاية قصوى أو خـــيراً تامـــاً يختار لذاته ولا يكون وسيلة لغاية أبعد ، أما الشرط الثاني أن يكـــون كافـــياً بنفسه أى كفيلاً وحده لسعادة الحياة دون الحاجة لخير آخر ، وهـــذان الشـــرطان متحققان فى السعادة Eudaimonia فالخيرات لا يطلبها الناس إلا لأجل السعادة ولا يطلبون السعادة لشيء آخر فالسعادة إذن هي هذا الخـــير ، معنى ذلك أن هي الغاية القصوى للحياة وتطلب لذاتها لا من أجل شئ آخر [1] .

فـــلا شـــك أن غايـــة الحياة في النظرية الأخلاقية هي بلوغ السعادة Eudaimonia فقـــد اهـــتم الفلاســـفة على مر العصور بالبحث عن الوسائل المخـــتلفة لتحقـــيق الســـعادة ولذلك يرى أرسطو أن عامة الناس وخاصتهم يتفقون أن السعادة هي الخير الأعظم وأنها غاية كل فعل إنساني ، ولكنه يرى أن الـــناس يختلفون فى تحقيق هذه الغاية ولذلك طرح أرسطو ثلاث وسائل يظن الناس انهم من خلالها يمكن أن يبلغوا السعادة

1- د. التكريتى- ناجى : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلامي ، بيروت ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ص ٨١ .

أولاً : اللذة hdonh

نجـد أن هناك أوجه تشابه بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو فيما يـتعلق برفضـهم أن تكمن السعادة فى اللذة بالإطلاق ، بل يمكن القول بان الإنسـان يـبلغ هـذه السـعادة المنشـودة فى حالة تناوله لهذه اللذة hdonh باعـتدال ، وهذا ما ينطبق على قول الرواقيين فى هذا الشأن حيث اعتـبروا اللـذة والألم من الانفعالات paqoj حيث يشمل هذا المصطلح الألم واللـذة وتوصـلوا إلـى أن الإنسـان يكون سعيدا على قدر قـوه هذين الانفعالين ، فليس من

الغريـب أن يقـول أفلاطون أن الحياة السعيدة (السعادة) تكمن فى حياة تمتاز بخفه الانفعال ومن ثم ضبط اللذة والألم على انهما اكبر انفعالين ، لذلك يعتمد أفلاطون على الاعتدال swfrosunh والتناسب فى تناول اللذات والآلام لأنه إذا اختل هذا الاعتدال يفقد الشيء قيمته وفضيلته ، إن الذين نطلق عليهم أخـياراً أو أشـراراً يشعرون باللذة والألم على السواء فليس الأخيار أخيارا بـاللذة ولا الأشـرار أشراراً بالألم ، وربما كان وصف أفلاطون بالاعتدال swfrosunh والتناسـب على هذا النحو تمهيداً لتعريف أرسطو للفضيلة areth بأنها وسط عدل بين أفراط وتفريط وكلتاهما رذيلتان .

ثم يطرح أرسطو فكرة اللذة h hdonh ويؤكـد على أنها ضرورية وهامـة بالنسبة لحياة الإنسان وهو بذلك يتفق مع سقراط ولكنه يؤكد على أن السعادة Eudaimonia لا يمكن فى أن تنشد اللذة لذاتها وهو ما أكده أفلاطون أيضـا علـى نحو ما ذكرنا ، وليس معنى أن نقرأ فى أكثر من موضع من كـتاب الأخلاق النيقوماخية انه يؤكد على أهمية اللذة انه مثل الابيقوريين ،

فأرســطو يعتبر أن الحياة السعيدة ينبغي أن تتضمن معنى اللذة ، لذلك فانه يعــترض على هؤلاء الذين يرفضون اللذة ويعتبرونها فضيلة بالفطرة ، ذلك لأن أرســطو يــرى أن هــناك لذات أخرى غير اللذات الحسية وان افضل اللــذات في نظره هي تلك التي يمارسها الناس في مجتمع فاضل لديه موارد كافية ويمارس نشاطات فائقة الإبداع ، رغم ذلك ينتهي أرسطو إلى أن اللذة لا يمكن أن تكون مقياساً للسعادة لأنها مؤقتة وزائلة .

* وبمقارنــة موقف أرسطو من اللذة بموقف الفيلسوف الرواقى سينيكا نجد أن أول المبادئ التي يتفق فيها بينيكا مع الرواقيين " أن اللذة شرا " . "Vitium esse voluptatem credimus "(1) لكنه يحرص على أن يميز السعادة Eudaimoniaعن اللذة hdonh لان السعــادة هي هدف الحكماء وحدهم بينما اللــذة هي هدف الجماهير العريضة ، وعلى ذلك فيرى سينيكا أيضا أن اللذة يمكن أن تحقق سعادة زائفة أو مؤقتة بينما السعادة بمعناها العام والشامل لا يمكــن أن تكمن في اللذة ، أي أن السعادة فى رأى سينيكا تعنى قهر اللذات والصبر على الآلام وازدراء الموت ومن ثم تتحقق من وجهه نظره السعادة ، ومــن خــلال مــا سبق يمكننا أن نستنتج أن رأى الفيلسوف الرواقى سينيكا يتشابه إلى حد كبير بأرسطو فيما يتعلق باللذة .

ثانيا : الثروة ploutoj

يطرح أرسطو بديلاً آخر لمفهوم الثروة عند العامة من الشعب حيث يعتبرونها مصدراً للسعادة ولكنه يرفض أن يكون المال بأي حال من الأحوال

---

1 - Seneca, Epistulae Moroles, IIX,P.1. Loeb

معـياراً للســعادة ، لأنــه معيار غير ثابت وقابل للزوال وبذلك لا يمكن أن نعتبره المعيار الحقيقي لتحقيق السعادة المنشودة .

ثالثا : المناصب الشرفية timh

وكذلــك يطرح أرسطو بديلا يعتقد العامة انه كفيلاً لتحقيق السعادة وهــو تقلد المناصب الشرفية والسياسية وهذا بطبيعة الحال لا يكفى لتحقيق الســعادة لأنه مرهون بالمنصب وطالما أن المناصب كما تمنح تنتزع إذن لا يمكن أن تكون المعيار الحقيقي لتحقيق السعادة .

فالمعنى الحقيقي للسعادة وشرطها الأساسي إنما يكون في عمل النفس الــناطقة وحدها على أساس أنها نفس عاقلة أي بحسب فضيلتها أو وظيفتها الخاصــة ، وعلــى ذلك فان عمل النفس الناطقة بحسب فضيلتها مصدر لذة حقيقــية لهــا يكمــن فيها خيرها ، وبذلك يوحد أرسطو بين اللذة والسعادة Eudaimonia ، hdonhغــير انــه يعطــى للذة هنا معنى آخر غير المعنى المألوف والذي من اجله ثار الكلبيون على اللذة (١) .

فــاللذة عــنده لهــا معــنى روحانــي يجعلها قريبة جدا من الخير الأفلاطوني، إنها لذة نظرية مجردة لا صلة لها فى الواقع باللذة الحسية التي تتــبادر إلــى الأذهان ، فهي التي تكمل تحقيق الفعل المطابق للفضيلة من غبطة وارتياح ، إنها كمال لم يبق فيه اثر لقوة ، أي هي كمال تحقق بالفعل أو هي بمثابة الصورة بعد أن تتحقق على الوجه الأكمل بالنسبة إلى أي شئ من الأشياء ، وذلك لا يكون إلا في الحياة النظرية ، حياة التأهل والفكر لأنها

١ــ د. مرحــبا . عــبد الرحمــن : تــاريخ الفلسفة اليونانية منذ بدايتها حتى المرحلة الهلينستية . مرجع سابق . ص ٣٠٥ .

تحقــق أعلــى درجــة من درجات الكمال . حيث كان اليونانيون يرون أن السعادة هي أسمى الخيرات وقد تكون نادرة ، ويميز أرسطو بين الجوهري والعرضـــي ، وقصر السعادة على خير النفس باعتباره خير الإنسان بما هو إنســان ، مــع تقديــره للخيرات الجسمية والخارجية كسائر اليونانيين ، ولم يخــالفهم فيما وضعوه للسعادة من خصائص وشروط ولكنه تبين إنها تنطبق عليه هو ولا تنافيه فجاءت محاولته هذه مثالاً جدلياً فى تحويل الآراء العامة إلــى الوجهــة الصحيحة كما كان يفعل سقراط ، واستخلاص مبدأ العلم من الأقوال المأثورة[1] .

إذن يخلــص أرسطو إلى أن حياة الحكمة والتأمل هي وحدها التي يمكــن أن تكفل هذه السعادة المنشودة (الخير الإنساني) ، وكذلك يرى أن الذيــن يــأتون بالأفعــال الأخلاقــية هــم وحدهــم الذين يدركون السعادة Eudaimonia ،أي أن كــل مــن يسلك مسلكا أو فعلاً أخلاقيا يمكن أن يبلغ الســعادة الحقيقــية،ولذلك فان كل فرد ينشد السعادة الأخلاقية عليه أن يفعل الخير دائما ، وعلى ذلك نجد أن أرسطو يربط بين الخير agaqon والسعادة Eudaimonia . أي أن الســعادة الحقيقــية إنما تتحقق بممارسة حياة التأمل والحكمة . ومن خلال ما سبق ذكره نجد أن هناك توافق فى وجهة النظر بين أرســطو وسينيكا الفيلسوف الرواقى حيث أكد على أن الحكمة swfrosunh هــي أســمى الفضائل عند الحكيم الرواقى على وجه العموم ، وعند سينيكا خاصة الحكيم الذى يملك زمام السيطرة على إرادته فى عزم وإصرار وهو الذي يتميز بهدوء النفس والثبات فى مواجهة شدائد الأحداث ، ولذلك يعطى

1- د. النشار . مصطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى ، مرجع سابق ص ٢٤٦

سـينيكا دوراً هاماً للإرادة إذا قبلت شيئا ما أو رفضته وفى الغالب تتفق هذه الإرادة مـع الخير ، وعلى كل حال فالحكمة هى الفضيلة الأولى التي تعين الإنسـان وتسـاعده علـى أن يحـيا حـياة سعيدة hdewj zhn والسعادة Eudaimonia تـبلغ أقصى مدى لها كلما تمكنت الحكمة في الإنسان ولذلك يدعو سينيكا إلى دراسة الفلسفة لأنها تقوم على ممارسة الحكمة والتأمل في المقام الأول ، بل ويؤكد على أن الفلسفة ليست مجرد وسيلة لاجتذاب جماهير عريضة نحو أفكار معينة بل هي أسلوب يحدد نمط الحياة المثالية وهى القائد الذي يحرك سلوكنا ويهدينا إلى معرفة ما يجب أن نفعل أو لا نفعل ومن ثم تتحقق لنا السعادة المنشودة .

الفضيلة عند أرسطو

بعـد أن تعرضنا بشكل موجز لمفهوم السعادة eudaimoniaعلى اعتبار إنهـا غايـة كـل فعل إنساني، ننتقل من خلالها إلى تعريف الفضيلة عند أرسـطو، ولكننا لابد أن نذكر أولا [1] العلل التي تعمل على أحداث الفضيلة areth وهمـا الطبيعة والعادة والتعليم ، أما الطبيعة (الخواص الفطرية) فلا تـتعلق بنا ولا حيلة لنا فيها ، وأما التعليم فهو لا يتم ولا يكتمل إلا إذا سبقته التربـية لان التربـية طبيعة ثانية وميل يتطلب الإرضاء فمتى وجدت عادة الفضـيلة بالتربـية أثمر التعليم وسهل الأخذ به . ولا يحسن القيام بالتربية والتعلـيم غير الدولة لأنها حاصلة على العلم بالخير الكلى الذي تصدر عنه القوانين .

---

[1] – د. النشـار . مصـطفى : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، مرجع سابق ص ٢٤٠.

كذلـــك عرف أرسطو الفضيلةareth بأنها وسط عدل بين إفراط وتفريط كلاهمـــا رذيلـــة ، حيـــث صـــنف الفضائل إلى نوعين في كتاب الأخلاق النيقوماخية.

Ditthj dh thj arethj oushj, thj men dianohtikhj thj de hqikhj , h men dianohtikhj to pleion ek didaskaliaj wcwi kai thn genesin kai thn auxhsin , dioper empeiriaj deitai kai cronou . h d' hqikh ex eqouj periginetai , oqen kai tounoma eschke micron paregklinon apo tou eqouj [1]

أى أن : " الفضيلة نوعان فضيلة عقلية وفضيلة أخلاقية ، أما الفضيلة العقلية فأنهـــا تنتج فى معظمها عن طريق التعليم ومن ثم تتطلب خبرة وزمن بينما الفضيلة الأخلاقية تكون نتاج العادة " .

وعلـــى ذلـــك فقد ميز أرسطو بين نوعين من الفضائل ، فضائل تتعلق بالـــنفس ومن صفاتها التعقل والتفكير وهى الفضائل العقلية ، وفضائل تتعلق بجـــزء من النفس لا يمكن أن يعقل أو يفكر بذاته ومع ذلك يكون قادراً على مـــتابعة عملـــية الـــتعقل وهى الفضائل الأخلاقية ، حيث يرى أرسطو أن الفضائل العقلية dianohtikh ترجع إلى التعليم فهى إذن تحتاج إلى التجربة، أمـــا الأخلاقية hqikh فإنها تحصل بالتعود وذكر على سبيل المثال الشجاعة والعفة والعدالة والصداقة ... بينما يقسم أرسطو الفضائل العقلية dianohtikh إلى فضائل عقلية كبرى وفضائل عقلية صغرى .

1- Aristotle, op.cit,1103,XIII,P.14

(أ) الفضائل العقلية الكبرى :-

العلم : episthmh وهـو المعرفة الكلية الضرورية التي نتوصل إليها عن طريق البرهان لأن العلم هو الذي يمكن أن يؤهلنا للبرهنة التي هي من أعمال التعقل .

الفـن : tecnh وهو ملكه تؤهلنا لصناعة الأشياء وفقاً لما نتمتع به من حكمة .

الحكمـة العقلـية_: وهـى ملكه المشورة فى الأشياء الخيرة والشريرة والحكمة العقلية تتضمن الفضائل جميعا حيث أن غايتها هي قيادة الإنسان نحو خيره الأعظم .

الحـدس : وهـو قدرة داخلية قوية على معرفة الأشياء وعلى التنبؤ بما سوف يحدث .

(ب) الفضـائل العقلـية الصغرى_:- منها القدرة على التروي والتفكير الدقيق وحسن المشورة وحسن فهم الأشياء .

وجديـر بالذكـر أن أرسطو فى هذا الصدد يقول أن الفضيلة لا تكفى وحدها لتحقيق السعادة eudaimonia ، لأن الرجل الفاضل ربما تحل به بعض الكـوارث مـثل الفقـر والمـرض وما شابه ذلك ، وتلك الأشياء تؤدى إلى القضاء على إحساسه بالسعادة .

وإذا عقدنـا مقارنـة بيـن موقـف أرسـطو على أساس أن الفضيلة لاتكفى وحدها لتحقيق السعادة eudaimonia بموقف كل من سقراط والكلبيين والرواقييـن ، نجـد على سبيل المثال أن سقراط يربط الحكمة sofrwsunh بالفضـيلة areth فمعـرفة الفـرق بين الخير والشر تكفى لبلوغ السعادة ،

والحكـــيم يتمـــيز بهذه المعرفة التى تضمن له السعادة . وسقراط يطابق بين الفضيلة ومعرفة الخير والشر : Einai episthmhn kakwn kai agaqwn

ومن ثم تكون الفضيلة كافية لإدراك السعادة . [1]ومن الطريف أننا نقرأ هـــذه العـــبارة نفسها عند أنتستانس Antisthencs مؤسس المذهب الكلبى عندما يقول " أن الفضيلة تكفى فى حد ذاتها لبلوغ السعادة " .

[2]Autarkh de thn arethn proj eudaimonia

ولا يمكـــن أن يكـــون ســـقراط الأب الروحي لأنصار مذهب اللذة hdonh وأعدائـــه دون أن يكـــون كذلك بالنسبة لأكثر المدارس الفلسفية اعتدالاً واشدها تمسكاً بالفضيلة وهى الرواقية . ذلك لأننا نقرأ عند الرواقيين نفس الأهمية التي ينســـبها ســـقراط إلـــى الفضيلة ، فزينون مؤسس المذهب الرواقى يقول " إن الفضيلة هي حالة من التناغم الحر بان نختارها لذاتها لا أملا في شئ ولا خوفاً من شئ ودون أي تأثر بأي دافع خارجي ، ففى الفضيلة تكمن السعادة ".

Thn arethn dia qesin einai omologoumenhn . kai authn di authn einai airethn , ou dia tina fobon h elpida h ti twn exwqen. En auth einai thn eudaimonian . ([3])

معـــنى ذلـــك أن ســـقراط هو أول من وصف الفضيلة بأنها كافية لبلوغ السعادة وان من يتحلى بالفضيلة لا يرى اى تهديد لسعادته طالما يؤثر الفعل الأخلاقـــي علـــى الخيرات والمنافع الخارجية ، وكان هذا هو السبب فى أن

---

1 -Plato: Gorgias, 492e-P.3, loeb.

2 - Diogenea Laertius, VI,P.11, Loeb

3 - Ibid , VII,P.89.

يـــرفض سقراط قبول اى بديل لعقوبة الإعدام التى حكم بها عليه [1] . وعلى ذلك فقد ربط سقراط بين الفضيلة والسعادة على عكس ما فعله أرسطو حين أوضح أن الفضيلة وحدها لا تكفى لتحقيق السعادة المنشودة .

كمـــا نـــادى سينيكا بمبدأ صريح واضح باعتباره أحد الفلاسفة الرواقيين وهو الحياة وفقا للطبيعة ويقول فى هذا الصدد .

Si ad naturam vives , nunquam eris pauper , si ad opiriones nunquam eris dives ."

" إذا عشـــت وفقاً للطبيعة فلن تغادرك السعادة ".[2]وهنا نلاحظ أن دعوة سينيكا إلى الحياة وفقاً للطبيعة قد تكررت ولم يمل من تكرار هذه الدعوة لأنه اعتبر أن الإنسان السعيد حقا يتخذ الطبيعة قائداً ومرشداً له .

" qui natura magistra utitur " ([3])

أن سينيكا شأنه شأن الرواقيين إذ يعتبر أن الطبيعة أوجدت الفضائل منذ الميلاد وأنها غير مسئولة عن الرذائل أو الشرور وذلك لأن الخطأ دائماً فينا وليس فى الطبيعة " .

Nostrum istud , non naturae vitium est [(4)]

ذلـــك لأن الطبـــيعة إنمـــا تـــأتى بـــنا إلى الوجود محررين من الرغبات والمخاوف وسائر الرزائل الأخرى ومن ثم يكون من الأفضل أن نعيش على النحو الذي أدخلتنا به الطبيعة إلى الحياة ، كذلك فان مبدأ الحياة وفقاً للطبيعة

---

1 - Plato,Apology, 3765-e2.Loeb

2 - Seneca: Epist. Mor.,XVI,P.7,loeb.

3 - Seneca: Epist. Mor.,XV,P.9

4 - Seneca : Ibid , IIX,P.15

يعـــنى الحـــياة وفقاً للفضيلة أي وفقاً للخير ، وأن طبيعتنا مقصورة على هذا الخير، وهنا ما اثبته الرواقيين وسينيكا باعتباره أحد فلاسفة الرواق .

بيـــنما اعتـــبر أفلاطـــون أن الفضيلة تكمن فى المعرفة وان الفضيلة يمكن تعلمهـــا وهو ما يمكن أن نفهمه فى إطار نظريته فى المثل . فان أسمى هذه المـــثل هو مثال الخير ، فمعرفة هذا المثال هي التي تهدينا إلى صنع القرار الأخلاقي ، وقد رأى أفلاطون أننا يجب أن نكون أخيارا لكي نعرف الخير ، لذلـــك فان أي فرد يرتكب فعلاً لا أخلاقيا إنما يفعل ذلك عن جهل ، والنتيجة هى أن من يفعل أفعالا أخلاقية هو الذي يبلغ السعادة الحقيقية .

ولمـــا كـــان كل فرد ينشد السعادة فانه يرغب دائما في أن يفعل ما هو أخلاقي ، ولذلك يمكن أن نعتبر أن الأخلاق عند أفلاطون هي رد فعل على الهجـــوم السوفســـطائى على الاعتدال وتأكيد السوفسطائيين على أن المعرفة ذاتـــية ، حيث يرى أفلاطون أن الاعتقاد بأن المعرفة بالأخلاق مستحيلة هو اعـــتقاد متناقض وخطير للغاية لانه على هذا النحو لا يمكن أن تكون هناك معـــرفة بالخير والشر ، كما انه لن يستطيع أحدا وفقا للاعتقاد السوفسطائى القول بأن أي فرد يخطئ أو يرتكب خطأ أخلاقيا . وعلى ذلك يكون أفلاطون قـــد ربـــط بين الفضيلة والخير ومن ثم تحقيق السعادة مثلما فعل الرواقيين وسينيكا باعتباره أحد فلاسفة الرواق .

فضيلة السمو النفسى :

يصـــور أرسطو فى كتابه بعنوان " الأخلاق النيقوماخية" الشخص الذي يتحلى بالسمو النفسي megaloyucia بأنـــه الشـــخص الذي يحمل فوق رأسه تاج الفضائل جميعاً ، ويذهب إلى أن السمو النفسي megaloyucia هو

الـــذي يجعل صاحبه يعتقد انه جدير بالأشياء العظيمة ويستحق التقدير لهذه الصفة [١].

وتشـير الفقـرة التى يتناول فيها أرسطو هذه الصفة فى كتابة " الأخلاق النيقوماخـية " جـدلاً واسـعاً وخلافاً كبيرا في الرأي حول المعنى الفلسفي للمصـطلح، حيـث يـتحمس ويتحيز أرسطو لهذه الصفة " السمو النفسي " باعتبارها فضيلة خاصة وان ترجمة

المصطـلح من الناحية الفلسفية ينطوى على بعض الصعوبات ويثير بعض الخلافـات [٢] إذ ينـتقد " روس " Ross أرسـطو فـي هذا الشأن ويصف التصوير الارسطى للصفة موضوع النقاش megaloyucia بأنه تصوير غير مرضـى وغـير مقنع opicture that is un pleasing [٣] ، أما " اوكونور " Oconor فيصـف التصـوير الأرسـطى لهـذه الصـفة بأنها دعابة سخيفة oponderous Joke ويقول عنها " فرنش" French أنها فكرة رائعة عن الزهو والتكـبر والغطرسـة ، وأنها فكرة عن إنسان من نوع لا يوصى بمثله ولا يتطلع أحد لكى يكون مثله

" on excellent account of oproud, conceited, condescending snob... not the sort of person one would recommendor aspire to be " [4]

---

1 - Aristotte , Nicomachea Ethica, op.cit.1123a 34-1125a P.36.

2- Ross,W.D.,Aristotte,5th ed., New York, Meridian Books,1959,P.203.-

3- O'Connor, D.J.: Criitical history of Western Philosophy, New York, Free Press, 1904,P.55.

4 - French, P.A.:The scope of Morality, Minneapolis, University of Minnesota press,1979.P.192

ويضـــيف " هـــاردى Hardie " انـــه من الصعوبة عندما نقرأ ما يقوله أرســـطو عـــن megaloyucoj أن نعتبره نموذجا أو مثالاً للتمييز الحضاري

ويضـــيف " هـــاردى Hardie " انه من الصعوبة عندما نقرأ ما يقوله أرسطو عن megaloyucoj أن نعتبره نموذجا أو مثالاً للتمييز الحضاري

" It is hardly for us possible, on reading what Aristotte says about the great-souled man, to view him as aoparadigm of civilized excellence ". (1)

ويـــبالغ الـــبعض ويذهبون إلى ابعد من ذلك فيهاجمون شخص أرسطو ويشـــككون فيه ويتهمونه بتواضع العاطفة والإحساس . emotional poverty وبأنـــه فشل فى أن يكون نزيها متحضرا فاضلا " Failing to be nince or a good man " (٢) .

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الباحثين الذين يدافعون عن جدية أرسطو ودقـــته يضعون الإنسان الذي يتحلى بالسمو النفسي في مكانة أسمى من أن يتصـــل بأشياء عامة وعادية ، لأن من يحمل هذه الصفة أو الفضيلة حاصل على ترفع وسمو فى داخله ، هو فيلسوف عظيم يتحلى بالحكمة .

" He has inner greatness, and an ougust philosopher possessing theoretical wisdom(3)

---

1 - Hardie:W.F.R.: Aristotte Ethical theory,2nd ed. Oxford,Clarendon Press,1980 P.373.

2 – Macdntyre, A.:" Relativism, Power and philosophy " proceding and Addresses of the American,1985,522.P.5

3 - Gauthier, R.A., and Jolif, J.Y.: Aristotle, L'Ethique aNico Maque, 2nd ed., Publications Universitaire, 1970 P.23

كذلك يرى ستيورات Stewart أن المتحلي بفضيلة السمو النفسي هو من يملك القدرة على التأمل ، فهو يتأمل الكون ويفكر فى الانسجام البديع للطبيعة دون أن يسمح لأي شئ خارج عنه أن يوجه تفكيره أو يسيطر على تصرفاته

(1) " Aman of the highest speculative power... who contemplates the cosmos or beautiful harmony of his own nature... allowing nothing external to it to dominate his thought or conduct . "

على أن أكثر المعجبين المحدثين بالمصطلح الأرسطى على وجه الإطلاق هو دون شك " نيتشة " Nietzsche ، فقد رأى نيتشه أن الصفة تتفق مع رؤيته للإنسان العظيم المميز الكامل ، لكنه يختلف بطبيعة الحال عن ما أراده أرسطو ، حيث يرى نيتشه أن الصفة تعنى العظمة والتفوق مما يتطلب النبل والشرف والإرادة في أن يكون صاحبها مميزاً لا يشاركه أحد في صفاته ، بل ويجب أن يحيا بطريقة مستقلة عن الآخرين .

(1) " Today the concept of greatness (Grosse) entails being noble, wanting to be one self (dos Fur-Sich-Sien-Wollen)... standing alone dos Allein-Stehn) and having to live independently cauf eignefaust-leben-mussen. "

إذن الخلاف هنا عميق وملفت للنظر ولكن مالا يقبل جدلا وما لا يثير خلافا هو ما يخبرنا به أرسطو نفسه من أن الـ megaloyucia فضيلة hapeth ويضيف بأنها فضيلة تامة areth teleuth بل أنها تاج الفضائل كلها stefanoj oretwn (2)

---

[1] - Stewart, J.A.: Notes on the Nicomachean Ethics vol,2 Oxford, Elarendon press, 1892,P.133,5F.

[2]-Nietzche.F.: The will to power, translated by KauFmann W.,Newyork : Vintage Books, 1974,P.404.

أن مـــا يصـــف به أرسطو هذه الفضيلة لا يعنى أي شئ أخر غير ما يقوـــله بوضـــوح وبشـــكل مباشر في الأخلاق النيقوماخية . ومما يؤكد هنا الوضوح في الرؤية والوصف ما يقوله أرسطو فى كتابه الأخلاق الاوديمية Eudemika Eqhka " ما دامت الـــ megaloyucia تؤدى إلى أحكام صحيحة عن الخيرات الكبرى والصغرى ، فأنها جديرة بالثناء epaineton [1]" .

وعندما يصف أرسطو الـــ megaloyucia بانها تاج الفضائل فلا اقل من أن نفهـــم انـــه يضعها ضمن فضائل كبرى أخرى مثل العدالة dikaiosunh والشجاعة andreta والاعتدال sofrwsonh حيث أن كل فضيلة هي وسط بين طرفـــي نقـــيض ، إفـــراط وتفريط وكلاهما رذيلة . وبتطبيق هذه النظرية الأرســـطية على فضيلة megaloyucia يكون السمو النفسي هو تلك الفضيلة ذاتهـــا من حيث أن طرفيها رذيلة ، فأحد طرفيها " الكبر أو الغطرسة " وما شـــابه ذلك وهو الإفراط ، والطرف الآخر لها هو " المذلة " وما شابهها هو التفريط .

ويربط أرسطو بين الشخص الذي يتحلى بالسمو النفسي megaloyucia والشخص الحر لان كلاهما ينظر فيما وراء المنفعة من أفعالهما ويدافع عـــن الشـــخص الـــذي يتحلى بهذه الصفة وينفى عنه الاتهام بالغلظة والقسوة agrioj بسبب طبيعته الحماسية الفعالة وروحه الشجاعة.

أن مـــن يـــتحلى بفضيلة السمو النفسي هو من يعتقد في نفسه انه جدير بعظـــائم الأمور وان يكون كذلك في الواقع ، أي أن يتطابق اعتقاده في نفسه

---

1 - Aristotte: Nicomachea Etica OP.Cit.1124a 8,1124a1

وإيمانه بها مع واقع عظمة روحه وشجاعته [1] . وهو يختلف بطبيعة الحال عن الإنسان غير الجدير بعظائم الأمور، ولكنه يعتقد في قراره نفسه بجدارته بها ، كما انه يتميز عن الإنسان الذي رغم جدارته بعظائم الأمور لا يعتقد في ذلـــك ولا يؤمـــن في قراره نفسه بذلك ، وهنا الإنسان يصفه أرسطو بصفة تتناســـب مع مبلغ التواضع الذي تتحلى به روحه وهى mikroyucoj[2] حيث تعنى هذه الصفة حرفيا " صغر النفس " وهى الصفة المناقضة لعظمة النفس mikroyucoj أو هي الطرف النقيض الذى يمثل التفريط فيها .

كذلـــك فان الشخص الذي يتحلى بهذه الصفة يعنيه الشرف h timh وهو ضمن من يستحقون صفة الأفضل aristoj وانه لا بد بحق أن يكون خيرا أو فاضـــلا . كذلـــك لا يأبه بشرف يمنحه إياه أناس عاديون وانه يأبى أن ينال شـــرفا عاديا سبقه إليه آخرين . أنه لا ينسب إلى نفسه إلا درجات الشرف الرفيع ، فهو يؤثر أن يفعل الخير في الآخرين على أن يفعلونه هم فيه .

ويقـــول أرســـطو أن من يتحلى بهذه الفضيلة يستبعد من ذهنه أى فضل للآخرين عليه لأنه يرى أن مثل هذا الفضل سوف يذكره دائما بأنه في مكانة أدنى وسوف يشعره بالنقص لمجرد قبوله لها ، بينما يبنى معظم الناس مجدهـــم وشرفهم على السلطة والنفوذ والثروة وما شابه ذلك ، فان من يحمل صـــفة السمو النفسي megaloyucia لا يحتاج إلى مثل هذه الأدوات ، انه لا يأبـــه بها ولا يلتفت إليها ، وهذا هو السبب فى أن يلصق البعض به الاتهام بالغطرسة والكبر والغرور .

---

[1] – Aristotle, Nicomachea Ethica,OP.cit 1123,P.2.

وفـي ضـوء شـرح أرسطو لهذه الفضيلة فلماذا لا نستبدل الكبر بالاعـتزاز بالـنفس والغطرسة بالتقدير الحقيقي للذات واللامبالاة بالآخرين نسـتبدلها بالترفع والتسامى ، ففي هذا الإطار يمكن أن نفهم تصنيف أرسطو للسـمو النفسي megaloyucia بوصفها فضيلة ، حيث لم يكن هدف أرسطو فـي كـتابه الأخلاق النيقوماخية أن يبحث في مفهوم الفضيلة فقط وإنما في البحث عن إمكانية أن نصبح فاضلين أو أخيارا [1] .

إذ أن لابـد أن نضـع في الاعتبار أن التقاليد الأخلاقية أو التجربة الأخلاقـية فـي دولـة المدينة هي التي تمثل إطار الأخلاق النيقوماخية بما تحـتويه هذه الفترة " – القرن الرابع ق.م – من ثقافات وعادات وتقاليد ، حيـث يقصـد أرسـطو بهذه الفضيلة أنها تلك الحالة exij التي يصبح فيها الإنسان فاضلا والتي يؤدى فيها دوره أو وظيفته ergon على افضل نحو ، وحسـب المفهـوم الارسـطى لما يجب أن يكون عليه الأخيار فإن الفضيلة تتشـكل اجتماعـيا . ولا يفصل أرسطو بين الفرد والمجتمع حتى إذا كانت الفضيلة تعنى الكفاية الذاتية للفرد .

هذا بالإضافة إلى ما قاله أرسطو بأن من يتحلى بهذه الصفة يعزف عـن الاعتراف بمعروف أو جميل يقدمه إليه الآخرين ، فلا يجب أن نعتبر ذلـك موقفـا متغطرسا بل طريقة عقلانية في التعبير عن تقليد أخلاقي في مجـتمع تعتبر بديهياته أو مسلماته أن مجرد منح المعرفة أو الجميل مؤشرا علـى السمو والتسامى وربما التفوق وتعتبر استقبال المعروف مؤشرا على

---

[1] Aristotle, Nicomachea Ethica,Ibid 1103P.26-

النقص أو الدونية [1] . كذلك من يتحله بهذه الصفة – على حد تعبير أرسطو – لا يكـون مندفعا أو متهورا ولا يجب أن يكون عجولا . وهذه السمات لها صـدى فـي أول تعـريف للاعـتدال swfrosunh يقدمه سقراط للاثنين في محاورة خارميديس Charmides عندما ذهب إلى أن الاعتدال هو تناول كل شئ بتأن ونظام kosmwj وأن من يتحلى بالاعتدال يتحاور فى هدوء ويمشى فى هدوء ويفعل كل شئ آخر بنفس هذه الطريقة [2]

كذلـك نجد أن " شيشرون " في كتابه " عن الواجبات " De officiis يوصـى فـيه بأنـنا عندما نضطر للعجلة لا يجب أن نطلق العنان لأنفسنا بحـركات مفرطة في السرعة، لأننا نصاب نتيجة لذلك بصعوبة في التنفس وشـحوب في الوجه واضطراب في التعبير، وكلها مظاهر تدل على غياب السـيطرة على النفس أو غياب عن ضبط النفس [3] إذن فالحركات والسمات البدنية هي أجزاء ضرورية لفهم الفضيلة .

ومـن الأفضـل أن نتأنى في ملاحظات أرسطو حول العلاقة بين الشـجاعة والموت والعلاقة بين السمو النفسي والشرف ، فكما أن الشجعان يظهـرون ازدراء المـوت ، كذلك الحال بالنسبة لمن يتحلون بفضيلة السمو النفسـي megaloyucia يظهـرون ازدراء الـتكريم مـن قبل اناس عاديين ويـتوقعون ببساطة أرفع درجات التكريم من افضل الناس . أن الشجاع مثل المتحلي بالسمو النفسي يتم فقط بأعظم الأشياء peri ta megistaوأن الموت

---

1 Peristany,CF:Honour and Shome. The Values of Mediterranean.Society. Chicago,1966.P.188.

2- Plato:Ch rmides , 1596 Loeb

3 -Cicero : De officiis, op.cit.P.131,Loeb

qanatoj هو من بين هذه الأشياء. ومن ثم فإن فضيلة السمو النفسي تبدو بحق تاج الفضائل كلها لأنها ترفع من قدر الفضائل الأخرى ولا توجد أبدا منعزلة أو مستقلة عن غيرها من الفضائل ولذلك فلا يمكن أن تكون الفضيلة تعالياً أو استكباراً لأنه لا يمكن أن تتحقق فضيلة السمو النفسي عند أرسطو بمثابة الكون kosmoj الذي يضم سائر الفضائل .

والجدير بالذكر أن أفلاطون كان قد ذهب إلى أن الاعتدال swfpounh هو الكون kosmoj الذي يضم الفضائل كلها [1]

مفهوم العبودية عند أرسطو :

أما فيما يتعلق بالعبودية يمكن تناول نظرية أرسطو فيها في إطار نظريته السياسية أو في إطار نظريته في الأخلاق ، وذلك للصلة الوثيقة التي تربط بين الأخلاق والسياسة من جهة ، ولهيمنة علم السياسة على سائر العلوم الأخرى من جهة أخري .

فعندما نتناول نظرية أرسطو في العبودية يتعين علينا أن نتناولها من زاويتين ، الزاوية الأولى هي المفهوم المحلى للعبودية والذي يعتقد فيه أرسطو بضرورة وجود العبودية بحسب القدرات العقلية للأفراد ، فالأشخاص من ذوى العقول الضعيفة والمتواضعة يجب أن يحتلوا وظائف تتناسب مع هذه القدرات ، فالمقصود بالمفهوم المحلى هو المفهوم الذي يطرحه أرسطو وفقا لظروف المجتمع ، فنحن نعلم أن أثينا كانت تضم في ذلك الوقت عبيدا يمثلون ثلثي عدد السكان وهذا يعتبر فرضا سياسيا واجتماعيا يجب أن نضعه في اعتبارنا عندما نتناول أرسطو من هذه الزاوية

1- Plato: Republic,op.cit. P.430 e. Loeb.

أمـــا الزاوية الثانية للعبودية فهي الفكرة العالمية التي ينطوي عليها مفهوم العبودية عند أرسطو ، حيث قال في هذا الشأن " البرابرة بطبيعتهم أكثر من الإغريق قبولاً للعبودية ، والآسيويون أكثر من الأوربيين " .

وهـــذه الـــنظرية تشتمل على تطبيق موروث وهو أن الشعوب تنقسم إلى إغـــريق ولا إغـــريق وليس هناك نوع ثالث بينهما ولكن أرسطو يستطرد فـــيقول أن الإغـــريق هم الأكثر جدارة بأن يحكموا العالم وان يعلموا العالم السياســـة وان يكونـــوا أســـيادا عليه لأنهم يتميزون بالشجاعة والذكاء على السواء. فإذا كان الآسيويون من وجهة نظره يتسمون بالذكاء والدهاء ، لكنهم يفـــتقرون إلـــى الشـــجاعة ، وربما كان السبب في ذلك الحكومات الملكية المـــتوارثة التـــي أسست مفهوم العبودية عند هذه الشعوب " الآسيوية " ، أما "الأوروبية " فهم الأكثر شجاعة ولكن كان ينقصهم الدهاء والذكاء الآسيوي ، لذلـــك فهـــم أيضـــا لا يصلحون لقيادة العالم ، ومن ثم فالعنصر الهلينى هو الوحيد الذي يجمع بين هذين الصفتين اللازمتين للسيادة أو حكم العالم.

ولعل هذه النظرية الارسطية تنطوي على تناقض غريب لفيلسوف عرف بأنـــه المعلـــم الأول ،وكذلـــك تفتقر لأي محتوى فلسفي بأي قدر في مقابل استغراق أرسطو في الميكافيلية قبل ولادة هذا المصطلح بنحو ألفى عام .

وبصـــرف الـــنظر عـــن المشكلة التي تثار حول نسب كتاب السياسة إلى أرســـطو بعناويـــنه الداخلـــية وافتتاحياته وفصوله، إلا انه ليس أمامنا سوى افـــتراض صـــحة نســـب هذا الكتاب إلى أرسطو ، وعلى ذلك فان القول بان الشـــعب الهليـــنى قادر على قيادة جميع الشعوب هو مجرد سفسطة أيديولوجية تتضاد مع الحقائق الفلسفية من جهة ومع الحقائق التاريخية أيضا ، لان أرسطو

لا يفعل سوى اجترار تصورات شعبية باهته خلقتها الأمة الإغريقية عن نفسها لنفســـها خـــلال الحروب مع البرابرة ومع الفرس، خاصة اعتقادها بأنها الأمة الحرة الوحيدة ، والأهم من هذا أن أرسطو نفسه يخبرنا في كتاب السياسة بان مصدر فكرته تلك ليس الا الفلكلور الإغريقي القديم مستشهدا باهزوجة للشاعر الغنائي اوريبيد يقول فيها " الهيلينيون جديرون بقيادة البرابرة " .

إن أرســـطو في هذه النظرية يستخدم منهجه العقلاني الخالص معتبرا أن تفوق الهيلينين على الشعوب الأخرى أمرا تفرضه طبيعة الأشياء ذاتها على أســـاس أن " الطبيعة لا تصنع شيئا عبثا " ، وبالتالي فكما أن الإنسان ككائن اجتماعي بطبعه ينقسم في العائلة إلى أسياد أحرار بطبيعتهم " الذكور " وأرقاء بطبيعـــتهم " الإناث والعبيد " وكما أن المجتمع الواحد ينقسم إلى أسياد أحرار بطبيعـــتهم " الحكام" وعبيد بطبيعتهم " المحكومين " فإن الشعوب تنقسم بدورها إلـــى شـــعوب تولـــد للعـــبودية بطبيعتها " الآسيويون " وشعوب تولد للحرية بطبيعـــتها " الأوروبـــيون " وعلى رأس هذه الشعوب الأوروبية وقمة البشرية جمعـــاء ، يقف الشعب الإغريقي باعتباره وبطبيعته أيضا الشعب السيد والحر الأعلى الوحيد .

معـــنى ذلك أننا إذا لم نجد أي محتوى فلسفي حقيقي فى قول أرسطو أن الذكـــور أحرارا وان الإناث والعبيد هم الأرقاء وإذا كنا لا نعتبر أن هناك قـــيمة فلسفية حتى في قوله أن الحكام أحرارا وان المحكومين عبيدا ، فبالتالي لا قـــيمة فلسفية ولا محتوى فلسفي في قوله أن الشعب الهيلينى هو وحده الحر بطبيعـــته وهو وحده الشجاع والذكى ، والشعوب الأخرى ليست سوى برابرة وعبيد . ومن ثم نجد أن أرسطو قد تدرج فى شرحه لمفهوم العبودية والحرية

من تصنيف عائلي (الذكور والإناث) إلى تصنيف طبقي (حكام ومحكومين) إلى تصنيف عالمي (الإغريق والبرابرة).

كما نلاحظ أن معنى مصطلحي " ملك " و " مستبد " تترادفان إلى حد كبير في لغة أرسطو السياسية حيث يؤكد بوضوح أن النظام الاستبدادي ينتمي إلى نوع الأنظمة الملكية الذي يكون الحاكم فيه فردا يحكم بشكل مطلق بموجب قوانين محددة وموروثة . فالأنظمة الملكية ليست استبدادية بالضرورة بحكم أنها قد تكون خاضعة لقوانين وبحكم أن الملك فيها قد يكون منتخبا حتى في آسيا ، وأرسطو يعرف بل كتب بالحرف الواحد أن السلطة في آسيا " ملكية خاضعة لقوانين وراثية عموماً كما أن بعض الشعوب من البرابرة تنتخب أحيانا ملكها المطلق " . والاستبداد من وجهه نظر أرسطو يمثل في الجوهر انحرافا خطيرا عن النظام الملكي ، نظراً لان الملك في هذه الأنظمة الملكية المنحرفة يستحوذ على مطلق السيادة والسلطة ، وفى كل المجالات مما يلغى أهمية القوانين حتى إذا وجدت.

من الواضح اذن أن نظرية أرسطو في العبودية من منظورها العالمي توحي بعنصريته وتحيزه كعادة الإغريق إلى جنسه . وانه لم يغير فكره على الرغم من كونه فيلسوف عظيم ومعلم أول ، فهو لم يستطيع أن يتخلص من الموروث الإغريقي فى هذا الجانب ، فنجده يتدرج من مقدمات حتى يصل إلى نتائج ليدافع عن قضيته باستخدام منهجه العقلاني ليثبت معتقد متوارث عند اليونان .

الخاتمة

مما لا شك فيه أن نظرية الأخلاق الارسطية تناولت العديد من القضايا الفلسفية ، وقد تناولنا كلا منها على حده بشكل تفصيلي بداية من اعتبار أرسطو بـــان غايـــة الحياة هى الخير الأعظم أي أنه جعل الخير الإنساني غاية لكل أفعالـــنا أي الغاية القصوى ، وهذا يمثل المبحث الأول فى نظريته الأخلاقية ، وكذلـــك اثبت أرسطو أن علم السياسة politikh هو سيد العلوم kuriwtath بل انه المسيطر والمهيمن على سائر العلوم الأخرى وان غايته تشتمل على غايات العلـــوم الأخـــرى وأيضا ذكرنا انتقاد أرسطو لنظرية المثل eidh الأفلاطونية حيـــث رأى انه لا قيمة ولا طائل من وراء التمييز بين الشيء ومثاله وبالتالي لا طائل من معرفة المثال .

ثـــم انتقلـــنا إلـــى مفهوم السعادة eudaimonia التي هي غرض كل بحث أخلاقي وأوضحنا بعض الوسائل التي يراها العامة أنها يمكن أن تحقق السعادة المنشـــودة ومنها على سبيل المثال اللذة hdonhوالمناصب الشرفية timh لكن أرســـطو رأى أن حـــياة التأمل والحكمة fronhsij هي وحدها التي يمكنها أن تحقق السعادة وهو بذلك شديد الشبه برأي الفيلسوف الرواقى سينيكا .

وكذلـــك أوضحنا مفهوم الفضيلة hareth عند أرسطو بأنها وسط عدل بين إفـــراط وتفـــريط كلاهمـــا رذيلتيـــن ، وأنواعهـــا حيـــث قسمها أرسطو إلى نوعين،عقلية dianohtikh وأخلاقية hqikhوأيضا أضاف فضيلة megaloyucia السـمو النفســـي على الفضائل الأربعة كالشجاعة andreiaوالعفة swfrosunh والحكمة fronhsij والعدالة dikaiousunh بل اعتبرها تاج الفضائل جميعا وان صاحب هذه الفضيلة جدير بالأشياء العظيمة ويستحق هذه الصفة .

وتناولـنا أيضا نظرية العبودية عند أرسطـو من خـلال المفهوم المحلي والفكـرة العالمـية لهذا المصطلـح ، حيث ظهر تحيز أرسطو وعنصريته لجنسـه فـي قولـه بـأن الـبرابرة بطبيعـتهم أكـثر من الإغريق قبولا للعبودية،والآسيويين أكثر من الأوروبيين ، فنجد أن هذه النظرية تنطوي على تـناقض غريب لفيلسوف عرف بأنه المعلم الأول . وبذلك نكون قد عرضنا بصورة موجزه عن الأخلاق عند أرسطو والمفاهيم المرتبطة بها .

قائمة بالمصادر

المصادر الأجنبية :

1. Aristotle, Nicomachea Ethica, translated by H. Rackam, Loeb Classical Liberary, Harvard University press Cambridge. 1094,I.
2. Aristotle : Eudemica Ethica loeb.
3. Cicero, De Officiis, Edinger, H.G.,1974,New York, Library of the Liberal Arts.
4. Diogenea Laertius, V.
5. Idem, Eudemia Ethica, Susemihl, F.,1967,Bibliotheca Teubneriana, Amesterdam.
6. Idem, Politica, Ross, W.D.ed.,1957, Oxford Classical Texts, Oxford , Clarendon press.
7. Idem, Politica, Ross,W.D.ed.1957, Oxford Classical Texts, Oxford, Clarendon press.
8. Idem, Respublica, translated by Lamb, W.R.M, 1925, Loeb Classical Liberary, Cambridge, Harvard University Press.
9. Plato : Rebulblic : Loeb.
10. Plato : Apology : Loeb .
11. Plato : Corgias : Loeb.
12. Plato, Charmides, Sprague, R.K, New York, Library of the Liberal Arts 1973.
13. Seneca, Epistulae Morales, IIX, loeb.

المراجع الأجنبية :

1- Bruno Snell, The Discovery of the mindin Greek philosophy and literature, Dover publications, New York.

2- CF.Peristany : Houour and Shame , The values of Mediterrean Society, Clicago,1966.

3- French, R.A.,and Jolif, J.y.,Aristotle: L'Ethique a Nicomaque,2nded .2vol,Louvain,Publications Universitaire, 1970.

4- French, PA : The scope of Morality, Minneapolis, University of Minnesota press, 1979.

5- Gauthier, R.A, and Holif, J.Y.: Aristotle: L'Ethique a Nicomaque,2nded .2vol,Louvain,Publications Universitaire, 1970.

6- Hardie, W.F.R.,Aristotle Ethical theory, 2nd ed. Oxford Clarendon press, 1980.

7- Moclntyre, A : Relativism , Power and philosophy, Processing and Addresses of the American, 1985.

8- Nietzche, F: The will to power, Translated by : Kauf mann, w, New York, vintage books, 1974.

9- O'Connor, D.J: Critical history of Western philosophy, New York, Free press, 1904.

10- Ross, W.D.: Aristotle, 5th , ed New York Meridian books, 1959.

11- Stewart, J.A: Notes on the Nicomachean Ethics vol2,Oxford, Clarendon press, 1892.

المراجع العربية:

١- د. أحمد عتمان ، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً ، الطبعة الثانية ، جامعة القاهرة ، دار المعارف للنشر . الطبعة الثانية القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٧ .

٢- ريكسر وورنر ، فلاسفة الأغريق ، ترجمة د. عبد الحميد سليم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

2- CF.Peristany : Houour and Shame , The values of Mediterrean Society, Clicago,1966.

3- French, R.A.,and Jolif, J.y.,Aristotle: L'Ethique a Nicomaque,2nded .2vol,Louvain,Publications Universitaire, 1970.

4- French, PA : The scope of Morality, Minneapolis, University of Minnesota press, 1979.

5- Gauthier, R.A, and Holif, J.Y.: Aristotle: L'Ethique a Nicomaque,2nded .2vol,Louvain,Publications Universitaire, 1970.

6- Hardie, W.F.R.,Aristotle Ethical theory, 2nd ed. Oxford Clarendon press, 1980.

7- Moclntyre, A : Relativism , Power and philosophy, Processing and Addresses of the American, 1985.

8- Nietzche, F: The will to power, Translated by : Kauf mann, w, New York, vintage books, 1974.

9- O'Connor, D.J: Critical history of Western philosophy, New York, Free press, 1904.

10- Ross, W.D.: Aristotle, 5th , ed New York Meridian books, 1959.

11- Stewart, J.A: Notes on the Nicomachean Ethics vol2,Oxford, Clarendon press, 1892.

المراجع العربية:

١- د. أحمد عتمان ، الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً ، الطبعة الثانية ، جامعة القاهرة ، دار المعارف للنشر . الطبعة الثانية القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٧ .

٢- ريكسر وورنر ، فلاسفة الأغريق ، ترجمة د. عبد الحميد سليم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

٣- د. عبد الرحمن مرحبا ، تاريخ الفلسفة اليونانية منذ بدايتها حتى المرحلة الهلنيستية . الطبعة الاولى بيروت : مؤسسة عز الدين ، ١٩٩٣ .
٤- د. مصـــطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى ، الجزء الثانى القاهرة ٢٠٠٠ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .
٥- د. نـــاجى التكريـــتى ، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام الطبعة الثانية – بيروت – دار الاندلس ، ١٩٨٢ . .